التطوّر التاريخي للتهديدات وانعكاساتها على النظرية الأمنية الإسرائيلية من خلال سيرة رؤساء الأركان

(1948- 2022م)

موسى محمد حدرج*

ملخّص البحث: يتناول هذا البحث بالتحليل المكثّف مفهوم الأمن القومي، وارتباطه بالنظرية الأمنية التي تبنّاها الكيان الصهيوني، والتطوّر التاريخي للتهديدات التي واجهت الكيان منذ قيامه إلى وقتنا الحاضر، من خلال سيرة رؤساء أركان الجيش الإسرائيلي. تلك التهديدات التي تمثّلت بداية في جيوش نظامية (مصر وسوريا)، لتتحوّل لاحقاً إلى تهديدات من قِبل منظمات اعتمدت حرب العصابات دون استراتيجية واضحة؛ وبعدها تطوّرت التهديدات بوتيرة متسارعة، من دون وجود قدرة للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية على مجاراتها، ممّا أدّى إلى تآكل النظرية الأمنية للكيان ، حيث استطاع محور المقاومة تشكيل شبكة تهديدات فريدة من نوعها في تاريخ الصراع مع هذا الكيان، بدءاً بأفراد وحالات فردية، ووصولاً إلى دولة وازنة على العتبة النووية ، مروراً بتشكيلات تعتمد حروب العصابات ، إلى مقاومة شبه نظامية، ليجد العدو نفسه اليوم في مواجهة مخاطر وتهديدات متعدّدة الأبعاد والساحات والقدرات.

Abstract: This research deals with a quick look at the concept of national security, its connection with the Israeli security theory, and the historical developments of the threats they faced since the establishment of the entity to the present time through the biography of the chiefs of staff of the Israeli army. Threats that began in the form of regular armies, led by Egypt and Syria, to later turn into threats against organizations that adopted guerrilla warfare without a clear strategy, and then the threat developed in an accelerated manner without the ability of the military institution to keep up with it, which led to the erosion of the security theory, and how the

* باحث لبناني.

resistance axis was able to form a unique network of threats in the history of the conflict with the entity, starting with individuals and ending with a nuclear state, passing through formations that depend on guerrilla wars to semi-regular resistance, so the enemy found itself facing dangers and threats of multiple arenas, dimensions and capabilities.

الكلمات المفتاحية: الأمن القومي – الاستراتيجية العسكرية – رؤساء الأركان – بناء القوّة – النظرية الأمنية – الكيان الإسرائيلي – إيران – المقاومة.

key words: National security - Military Strategy - Chiefs of staff - Force building - Security theory - The Israeli entity - Iran - Resistance.

مقدّمة:

تحوي طبيعة الصراع مع العدوّ الصهيوني أبعاداً عديدة؛ ولكن لا يزال البعد الأمني والعسكري هو الأكثر تأثيراً مقابل هذا الكيان، المدعوم اقتصادياً وسياسياً من الدول الكبرى، وفي ظلّ بيئة عربية لم تزل مرتبطة حتى الآن بالرأسمال الغربي، بحيث لا توجد ضغوط اقتصادية وسياسية عربية مؤثّرة حتى الوقت الراهن.

ترتبط النظرية الأمنية بالأمن القومي الإسرائيلي، والذي يهدف إلى إبقاء هذا الكيان المؤقّت على قيد الحياة. ويُعدُّ الجيش المؤسسة المعنية مباشرة بمواجهة التهديدات العسكرية والأمنية، والتي من الممكن أن تهدّد روتين الحياة المدنية والاقتصادية للمستوطنين الإسرائيليين. وتحاول هذه المؤسسة، وعلى رأسها رئيس الأركان، أن تقوم باستمرار بتقدير هذه التهديدات والمخاطر، من أجل بناء قوّة متماثلة وقادرة على مواجهتها؛ لذا وجدنا من المفيد - سيما مع قرب انتهاء ولاية رئيس الأركان الحالي أفيف كوخافي - إعداد قراءة شاملة وموجزة لسِير رؤساء أركان الجيش الإسرائيلي ، في محاولة لإعادة تحليل المسار التاريخي لهذا الجيش منذ تأسيس الكيان، بغية فهم الإجراءات والتدابير المختلفة التي قام بها رؤساء الأركان في مواجهة التهديدات المتعدّدة التي نشأت وكيفية انعكاسها على النظرية الأمنية، وخطط المؤسسة العسكرية في المحطات المفصلية للمواجهة ؛ وصولاً إلى رصد قدرة تلك النظرية على كبح التنامي المتسارع للتهديدات المقبلة للكيان، وذلك من

منظار رؤساء الأركان الصهاينة تحديدًا.

مفهوم الأمن القومي بين التعريفات والتفسيرات المتعدّدة

يُعدّ مفهوم الأمن القومي من المفاهيم الأساسية الذي لديه ارتباط وثيق ببقاء الدول، حيث حظِي باهتمام الساسة والقادة العالميين. ويتّفق العديد من الباحثين على الحداثة النسبية للدراسات المتعلّقة بظاهرة الأمن القومي كظاهرة علمية وكمستوى للتحليل[1]،وهو ارتبط في بداية نشأته وتعريفه بالبعد العسكري بشكل وثيق جدّاً. فقد عرّفه المفكّر والتر ليبمان - Walter Lippmann بأنّه عبارة عن أمن الدولة الذي هو مساوٍ للقوّة العسكرية ومرادف للحرب[2]؛ والأمن في اللغة هو نقيض الخوف، والفعل "أمن" يعني حقّق الأمان؛ أما المفهوم الاصطلاحي ، فيشير عموماً إلى تحقيق حالة من انعدام الشعور بالخوف.

إنّ مفهوم الأمن ليس من المفاهيم المتّفق عليها بصورة عامة، وإن كانت المعاجم اللغوية تشير إلى أنّ تعريف الأمن يُقصد به " التحرّر من الخوف والقلق"؛ وتعرّفه دائرة معارف العلوم الإجتماعية Sciences Social of Encyclopidia The بـ "قدرة الدولة على حماية قِيمها من التهديدات الخارجية[3].

يشمل مفهوم الأمن القومي العديد من التعاريف الاصطلاحية، نظراً لتنوّع واختلاف وجهات النظر بين الباحثين في ميدان الدراسات الأمنية والعسكرية بشكل خاص، والعلاقات الدولية بشكل عام. وقد تناولنا مجموعة من التعاريف للإلمام بكلّ مضمون ومحتوى معرفي لكلّ تعريف، لتفادي الوقوع في التحيّز والذاتية. ومن بين هذه التعاريف :

يرى وولتر ليبمان Lippmann Walter أنّ "الأمّة تبقى في وضع آمن إلى الحدّ الذي لا تكون فيه عرضة لخطر التضحية بالقِيم الأساسية إذا كانت ترغب بتفادي وقوع الحرب، وتبقى قادرة لو تعرّضت للتحدّي على صون هذه القيم عن طريق انتصاراتها في حرب كهذه[4]"؛ يركّز هذا التعريف للأمن على البعد العسكري كركيزة أساسية لمواجهة أيّ خطر يهدّد القِيم المركزية للدولة. وفي نفس السياق، نجد أنّ فرديريك هارتمان فيري Ferry Hartman Frederick يعرّف الأمن الوطني أنّه

---

[1]Richard N Rosecrance, *International Relations: Peace or War?,* New York ,Macmillan, 1966, p.33-35.

[2] David Sills, International encyclopedia of the Social Sciences, New York, Macmillan, 1968, vol,2 p. 40-45.

[3] عمر عبد الله كامل، الأمن العربي من منظور إقتصادي: التحديات الراهنة.. والتطلعات المستقبلية، الطبعة الأولى، باريس، فرنسا، مركز الدراسات العربي- الأوروبي،1996م، ص84 .

[4] جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الأولى، دبي، مركز الخليج للأبحاث، 2004، ص414.

"جوهر المصالح القومية التي تدخل الدولة من أجلها الحرب فوراً أو في فترة لاحقة[5]"؛ يركّز هذا التعريف بدوره على أهمية البعد العسكري في حماية الدولة والذي بدونه لا يتحقّق أمنها. كذلك نجد أن جوزيف ناي Nye Joseph يتناول مفهوم الأمن القومي باعتباره "غياب التهديد عن القِيم الكبرى"؛ أي أنّ الأمّة آمنة ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً من الدمار والأضرار الكبرى[6].

أمّا روبرت ماكنمارا McNamara Robert فحدّد مفهوم الأمن الوطني في كتابه "جوهر الأمن"، من خلال تركيزه على البعد التنموي؛ فلا أمن من دون تنمية[7]. ويعرّف مكنمارا الأمن بقوله :" إنّ الأمن ليس المعدّات العسكرية، وإن كان يتضمنها؛ والأمن ليس القوّة العسكرية، وإن كان يشملها، ... إنّ الأمن هو التنمية..."[8].

ريتشارد أولمان Ullman Richard ، في عام 1983، وفي مقال له بعنوان إعادة تعريف الأمن'' Security Redefining''عرّفه أنّه نشاط أو سلسلة من الأعمال تؤدّي إلى تدهور معيشة سكّان دولة ما، وتهدّد مجال الخيارات السياسية لكيان ما[9]. وقد عرّف أرنولد ولفرز Wolfers Arnoldالأمن، في مقال نُشِر له في عام 1952 بعنوان"الأمن الوطني كرمز غامض" ، أنّه مقياس التهديدات على القِيم المركزية، وأن لا تتعرض هذه القِيم للهجوم[10].

انتقد الواقعيون التفسير الواسع للأمن الذي قدّمه أولمان ، وتمسّكوا بمقولة أن الأمن هو دراسة التهديد واستعمال القوّة العسكرية. فالواقعيون التقليديون يخشون من توسّع مفهوم الأمن الذي قد يجعل منه مفهوماً شاملاً ومميعاً، لأنّ التهديدات العسكرية هي في الواقع الأكثر وضوحاً في فترة ما بعد الحرب الباردة[11].

ممّا سبق نستنتج عدم وجود تعريف جامع وشامل لمفهوم الأمن. ويعود ذلك لتنوّع مدارس الدراسات الأمنية، وهو مفهوم متنازع عليه جوهرياً. هناك زيادة في التمييز بين الأمن التقليدي والأمن الحديث؛ وعلى أقل تقدير، فإنّ معظمنا يتّفق على أنّ مفهوم الأمن توسّع إلى حدٍّ كبير، وبشكل مستمر، ليشمل الأبعاد المختلفة، سواء العسكرية، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، والبيئة؛ ويشمل

---

[5] طروب بحري، الأمن الغذائي: المفاهيم والأبعاد، مجلة المفكّر، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 07، نوفمبر 2011، ص 294.

[6] Jams Wyllie," Force and Security", in: Trevor C. Salmon and others, issues in international relations, London and New York, Routledage ,2nd edition,2008, P. 74.

[7] عمر عبد الله كامل، الأمن العربي من منظور إقتصادي: التحديات الراهنة.. والتطلعات المستقبلية، مرجع سابق، ص85.

[8] سليمان عبد الله الحربي، مفهوم الأمن: مستوياته وصيغه وتهديداته - دراسة نظرية في المفاهيم والأطر، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 17، 2008 صيف، ص 19.

[9] Richard H. Ullman," Redefining Security", International Security, Vol.8, N°:1, Summer 1983, P. 133. 2.

[10] Arnold Wolfers, '' National Security as an Ambiguous Symbol'', Political Science Quarterly, Vol. 67, N°:4, December 1952, P 485.

[11] Peter Hough, Understanding Global Security, London and New York, Routledge, 2004, P.7.

كذلك حتى الترابطات فيما بينها[12].

مفهوم الأمن القومي الإسرائيلي

وردت عدة تفسيرات للمفهوم التقليدي للأمن القومي الإسرائيلي على لسان قادة ومفكّرين في الكيان الإسرائيلي. يقول الأستاذ في العلوم السياسية في جامعة "بار إيلان"، الدكتور أفرايم إنبار إنه منذ تأسيس إسرائيل وزعماؤها يشعرون بأنها تواجه خطراً وجودياً نابعاً من رغبة الدول العربية في القضاء عليها[13].

ويقول اللواء يسرائيل طال، في مقالة له عن الأقليّة مقابل الأكثريّة، إن ضمان أمن الأمّة هو الحفاظ على مصالحها الحيوية[14]؛ أما اللواء فلنائي، فيعرّف الأمن أنّه الإطار الذي يعمل فيه الجيش كجزء من جهد قومي عام يعبّر عن مجمل قدرات الدولة لضمان وجودها[15].

إنّ نظرية الأمن الإسرائيلي هي المنبع الذي يستقي منه العسكريون الإسرائيليون توجّهاتهم، ومن ثمّ بناء عقائدهم؛ كما أنّها الأساس الذي ترتكز عليه استراتيجياتهم وأساليبهم في إدارة الصراع مع الدول العربية، أو أيّ عدوّ يهدّد أمنهم. كما ترتبط نظرية الأمن الإسرائيلي ، بالمفهوم الشامل لها، بالعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية، ولكن لم تُكتب بشكل دقيق. وأوّل من صاغ النظرية الأمنية الإسرائيلية هو ديفيد بن غوريون، والتي عُرفت بثلاثية بن غوريون: الردع والإنذار والحسم ، والتي لم تعد صالحة بصفتها المعيار الأوحد والرئيس، حسب اللواء ديفيد عفري، القائد السابق لسلاح الجو الاسرائيلي[16].

وقد جرت محاولات عدّة لتطوير وصياغة وكتابة العقيدة الأمنية بشكل علمي ومنهجي؛ الأولى كانت من قِبل إسحاق مردخاي، حيث شكّل في العام 1998، ورشة عمل، بحضور كبار

---

[12] Oliver Richmond and Jason Franks, “Human Security and the War on Terror”, in: Felix Dodds and Tim Pippard, human and Environmental security: An agenda for change, London, Earthscan, 2005, P.28.

[13] مجلة شؤون الأوسط، العدد 57، تشرين الثاني 1996 ، ص 30 الرابط : http://www.cssrd.org.lb

[14] يغآل ألون وآخرون، أمن إسرائيل في الثمانينيات، ترجمة مؤسسة الدراسات العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 1980م، ص62.

[15] زئيف شيف وآخرون، الوضع الأمني الإسرائيلي، ترجمة محمد فياض صلاحات، مركز الأبحاث والدراسات الفلسطينية، نابلس فلسطين، كانون أول 1999م، ص 127.

[16] رندة حيدر، العقيدة الأمنية الإسرائيلية وحروب إسرائيل في العقد الأخير، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت لبنان، 2015م، ص24.

المسؤولين والخبراء الأمنيين؛ وهي جُمعت في خمسة مجلّدات، ولكنها لم تُعرض على المجلس الوزاري المصغّر. والمحاولة الثانية كانت من قِبل الوزير دان ميرديدور، الذي شكّل في العام 2006 لجنة صدرت عنها توصيات، وقدّمت لوزير الأمن "موفاز"؛ ولكنها أيضاً لم تُقر[17]؛ ولاحقاً، حاول غادي آيزنكوت صياغة الأهداف القومية والاستراتيجية العسكرية، والتي في حال فشل تحقيقها تؤدّي إلى تهديد وجودي للكيان الإسرائيلي. وقد حدّدتها الوثيقة الاستراتيجية للجيش الإسرائيلي فيما عرِف بوثيقة غادي آيزنكوت[18]، وهي :

1. ضمان وجود دولة إسرائيل وحماية سلامتها الجغرافية وأمن مواطنيها وسكّانها.
2. الحفاظ على قِيم دولة إسرائيل وصبغتها كدولة يهودية ديموقراطية وكبيت للشعب اليهودي.
3. ضمان المناعة الاجتماعية والاقتصادية لدولة إسرائيل.
4. تعزيز موقع دولة إسرائيل الدولي والإقليمي ضمن سعي للسلام مع جيرانها.

نظرية الأمن الإسرائيلية مقابل التهديد البشري والجغرافي العربي

تعني نظرية الأمن الإسرائيلي "مجموعة المفاهيم التي تُنتجها إسرائيل" لضمان أمنها، أو هي مجموعة من القواعد والمبادئ والأساليب التي في إطارها يتمّ تحديد التهديدات وطرق مواجهتها، عبر الاستغلال الأمثل للقوّة العسكرية، في مقابل تحجيم القوّة العربية ، مثل الضربة الاستباقية أو الحرب الوقائية[19]؛ ويعتبر الباحثون أن نظرية الأمن الإسرائيلي تحدّد مجموعة التدابير والاحتياجات النظرية والعملية الخاصة بحماية المجال الإقليمي والحيوي للكيان، والذي لا يقتصر على البعد الجغرافي فقط، بل يشمل الجوانب العسكرية والاقتصادية والأيديولوجية والسياسية والأهداف

[17] المرجع نفسه، ص5.
[18] غادي آيزنكوت، استراتيجية الجيش، نيسان 2018 ص 11.
[19] يوسي بيليد، ندوة تحت عنوان "حزب الله لا يتسلح من أجل القيام باستعراضات عسكرية"، موقع والاه، بتاريخ 18-12-2010.

التوسعية والتدابير الواجب اتخاذها لتكريس السيادة الصهيونية على الأراضي المحتلة[20]، ومنطقة غرب آسيا.

وبالتالي ، فإن نظرية الأمن القومي الإسرائيلي لا تتضمن تعزيز القوّة العسكرية وحسب، بل وتشمل أيضاً السياسة الخارجية والتقدير الاستراتيجي، ومدى التناقض أو التقارب الفكري بين الكيان والدول المجاورة، وتحديد أماكن القصور ونقاط الضعف لدى هذه الدول ونقاط التفوّق معها.

ونستطيع القول إنّ إسرائيل بنت نظريتها الأمنية على التقدير الدقيق والمتواصل لجوانب القوّة والضعف للبلدان العربية؛ فهي دولة عسكرية بالدرجة الأولى. لذلك انصبّ اهتمام إسرائيل الأمني الأوّل على الناحية العسكرية قبل السياسة الخارجية، والتي أمست تابعاً يخضع للاحتياجات العسكرية بهدف توفير الاستعداد الدائم للمواجهة والمشروعية "السياسية والقانونية" ؛ وبالتالي فقد صاغت إسرائيل نظرية أمنها القومي طبقاً لاستراتيجية وتكتيك حربيين، بالاعتماد على إدراك دقيق لإمكانيات الدول العربية المواجهة لها، والتي تتمثل بثلاثة عوامل رئيسية هي: عامل التفوّق البشري العددي للدول العربية، والقدرة الاقتصادية الهائلة، والرقعة الجغرافية التي تؤمّن عمقاً استراتيجياً لهذه الدول.

وكلّ تلك العوامل وفّرت للعرب قدرة عالية لإدارة صراع أوحرب طويلة الأمد، ليس باستطاعة إسرائيل تحمّلها، بسبب المحدودية البشرية والجغرافية والاقتصادية لديها؛ ولذلك تسعى إسرائيل دوماً إلى تقليص مدّة الحروب وإلزامية كسب تلك الحروب والمعارك ضد العرب، ومنعهم من كسب ولو حرب واحدة، ما يعني تهديداً وجودياً لإسرائيل، بخلاف العرب الذين لا تتسبّب هزيمتهم في أي معركة أو حرب في خلق خطر وجودي عليهم، لاعتبارات الأرض والسكان والتاريخ المذكورة آنفاً.

وقد أخذت إسرائيل هذه العوامل الأساسية في الحسبان لأجل صياغة نظرية أمنها القومي، والتي تركّزت وفقاً لهذه العوامل في اتجاهين: الأوّل اتجاه نظري عام، يتمّ من خلاله وضع المبادئ والمنطلقات؛ والثاني، وهو الأهم، اتجاه استراتيجي عسكري خاضع للمؤثّرات السياسية والجغرافية

[20] إحسان مرتضى، الأمن القومي "الإسرائيلي " في تطوراته المفهومية والعملانية، مركز باحث للدارسات، بيروت، لا ت، ص37.

والعسكرية؛ ومن التحام هذين الاتجاهين تتكامل نظرية الأمن القومي الإسرائيلي[21].

الردع، الحسم، بناء القوّة وتشغيلها : مصطلحات جوهرية

لقد أكد بن غوريون مرّة تلو الأخرى أنّه يجب على إسرائيل أن تتصرف على افتراض أن حرباً جديدة قد تندلع في كل لحظة؛ وأراد الإجابة على سؤال مصيري يواجه الدولة الناشئة بقوله: "كيف يمكن تحقيق الأمن لشعبٍ قليل العدد، يعيش في دولة صغيرة المساحة ومحدودة الموارد، ومُحاطة بكثرة عددية معادية"[22].

وبناءً على هذا التصريح، تدرك القيادة الإسرائيلية أنّ الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة، وأنّه يجب التغلّب على محوري السؤال المتمثّلين في صغر حجم الدولة والكثرة المعادية لها؛ فتمّ الاتفاق على تحديد ركيزتين أساسيتين لنظرية الأمن الإسرائيلي اللتين تمثّلتا بالآتي: عسكرة الشعب كلّه، والاعتماد على قوّة كبيرة من الاحتياط، ونقل الحرب الى أرض العدو، وتحييد الداخل الإسرائيلي عن التهديد. وهذه المسائل محكومة للثلاثية الأمنية : الردع، الإنذار، والحسم.

وقد اعتُبِر مصطلح الردع، الذي اعتمِد عليه في التفكير الأمني لإسرائيل، مُحيّراً وإشكالياً؛ فهو دائماً مرسومٌ وفق معايير الجيش الإسرائيلي وليس وفق معايير محور المقاومة، التي لديها وضعيتها الثقافية والقيادية والشعبية الخاصة؛ وأكبر دليل تاريخي على فشل تحقّق مفهوم الردع ،هو أنّ الحرب التي انتصر فيها الجيش الإسرائيلي بكلّ وضوح وهزم فيها العرب في المقابل، لم تحقّق الردع؛ ونقصد فيها حرب الأيام الستّة؛ بل بالعكس، كان ذلك حافزاً لتطوير القدرات المصرية وزيادة حجم جيشها ثلاثة أضعاف[23]؛ وحتّى أنّ من دلالات خروج الجيش الإسرائيلي إلى عملية "عمود السحاب" هو تآكل في الردع الإسرائيلي الذي تشكّل، حسب رأيه، من عملية "الرصاص المسكوب"[24].

---

[21] علاء طاهر، حرب الفضاء ونظرية الأمن الإسرائيلي، الطبعة الأولى، الصلاح للدراسات الاستراتيجية، باريس،ص 52

[22] لورن إيغال، تكوين الجيش الإسرائيلي ، ترجمة عثمان سعيد العودة، لبنان، ص 11.

[23] داف تمري، مجلة معرخوت، العدد 437، حزيران 2011م، مقالة القوّة الجويّة إلى أين؟ بتاريخ 01-06-2011.

[24] شلومو بروم، بعد عملية عمود السحاب قطاع غزة في تشرين الثاني 2012، معهد دراسات الأمن القومي، 2012م، ص7.

ومصطلح الحسم أيضاً هو من المصطلحات التي دارت حولها نقاشات طويلة لتحديد مفهومها وجوهرها. وفي النظرية الأمنية الأساسية، تعني إحباط التهديد قبل اكتماله. ولفهم مفهوم الحسم، لا بدّ من فهمه كجزء من مصطلحات أخرى يعتبرها الجيش أهدافاً لعملياته، مثل الانتصار، الحسم، الاستيعاب والردع[25]. وقد عرّف الدكتور آفي كوبر مفهوم الحسم أنّه سلْب الخصم القدرة على القتال خلال الحرب، بحيث يكون الانتعاش منها هو ذو معقوليّة متدنيّة؛ وعرّفها آخرون أنّها عرقلة برنامجه وقدرته على تشغيل قوّته[26].

كثيراً ما يرِد على لسان كبار الضبّاط، وفي الكتب والمجالات العسكرية الإسرائيلية ، مصطلح "بناء القوّة"؛ وهذا المصطلح يُعتبر من المصطلحات الأساسية لفهم نظرة العدوّ إلى تطوّر البنية القتالية لقوّاته العسكرية مقابل التهديدات المحتملة؛ فهو يقوم ببناء وإعداد الجيش من خلال الخطط الخمسية بشكل أساسي. وبناء القوّة هو عملية تغيير مستمرّة في التنظيم العسكري وحجمه وتقنياته وقدراته بشكل دوري روتيني وطارئ، من أجل أداء المهمات المستقبلية؛ وهو ينبثق من عملية تكيّف مع البيئة الديناميكية والواقع الحالي[27].

الجيل الأوّل من رؤساء الأركان وتأسيس الجيش مقابل تهديدات محدودة

عيّن بن غوريون يعقوب دوري أوّل رئيس أركان للجيش الإسرائيلي، والذي كان رئيساً للهاغانا، ومن خرّيجي الجيش البريطاني. ومن أبرز الأمور التي واجهها هي إعداد الجيش وشراء السلاح وتوحيد العصابات الصهيونية في بوتقة جديدة هي "جيش الدفاع الإسرائيلي"، لمواجهة الحرب العربية الأولى، أي ما أطلقوا عليه "حرب الاستقلال". لقد كان التحدّي الأساسي مع الجانب العربي في ذلك الوقت هو الحفاظ على صلة الوصل بين المستعمرات الصهيونية وتأمين الطرقات بين بعضها البعض.

انتهت فترة ولاية يعقوب دوري، واستلم مكانه نائبه "يغآل يدين"، من خرّيجي الجيش البريطاني أيضاً. وقد بدأ مهامه في تنظيم وترتيب بُنية الجيش، فقام بتقسيم قيادات المناطق والشُّعب، وطوّر من النظريات القتالية نموذجاً شبيهاً بالأنموذج البريطاني، فحوّل العصابات إلى شكل جيش نظامي يرتكز على الاحتياط. ومن أبرز التهديدات التي واجهت "يدين" في هذه الفترة هي العمليات الفدائية

[25] ندوة حوارية بمشاركة يتسحاق بريك وإيتاي بارون، مكور ريشون، بتاريخ 08-12-2019.

[26] موقع معهد أبحاث القتال البرّي، بتاريخ 01-04-2010.

[27] شعبة العمليات في الجيش الإسرائيلي ، بناء القوّة ، مجلة بين هكتافيم، مركز دادو للتفكير العسكري متعدد المجالات، الجزء الثاني، العدد 7، 2019م.

المحدودة.

في العام 1952، عُيّن رئيس الأركان الثالث مردخاي مكليف في رئاسة الأركان؛ وهو كما سابقيه من خرّيجي الجيش البريطاني، وكان همّه زيادة عديد الجيش الإسرائيلي، حيث زاد عن الجيش المصري والأردني والسوري، وأنشأ بضغط من بن غوريون الوحدة الخاصة 101 بقيادة شارون. ولفت في أفكار مردخاي نزوعه نحو عمليات الاغتيال، حيث كان من أوائل رؤساء الأركان الذين وضعوا خططاً لتنفيذ اغتيالات تطال مستويات سياسية وعسكرية في سوريا. فحسب ما ورد في مذكّرات شاريت أنّه طلب الإذن بحرّية التصرف لقتل زعيم سوريا الكولونيل الشيشكلي[28].

موشيه ديان ونظرية جباية الثمن.. لاسكوف وتسور تكريس لما سبق

حتّى مجيء موشيه ديان واستلامه لهيئة الأركان، لم يكن لرؤساء الأركان حتى ذلك الوقت حضور شعبي وميداني واسع وكبير. قام ديان بنقلة نوعية على مستوى الحضور الميداني والعسكري والسياسي، ومن أبرز أعماله أنّه عارض السياسة الدفاعية التي فرِضت على الجيش، وبدأ ينتقل إلى المبادرة والهجوم وتنفيذ ضربات عسكرية وقائية وعمليات استباقية وثأرية. ففي العام 1955 كثرت العمليات الانتقامية التي نفّذها الجيش، وبدأ يعزّز من فتح المسارات والطرقات التي تعطيه إمكانية أكبر للعمليات الهجومية[29].

كتب ديان في يوميّاته: "ليس بوسعنا حماية كلّ أنبوب من الانفجار، وكلّ شجرة من الاقتلاع، لكن يُمكننا بقوّتنا تحديد ثمن مرتفع لدمنا؛ ثمنٌ أغلى ممّا يمكن لقرية عربيّة، أو دول عربيّة أو جيش عربي، أن تبذل عناء دفعه".

ديان الأسطورة لم يظهر إلّا على إثر حرب سيناء 1956، حيث خرج فيها إلى حرب استباقية بتعاون دولي، هدفه تدمير التواجد المصري في شبه جزيرة سيناء وقطاع غزّة، وتأمين حرّية الملاحة في خليج العقبة، والمساس بهيبة جمال عبد الناصر وإسقاط حكمه[30].

على أثر انسحاب الجيش الإسرائيلي من صحراء سيناء التي احتلّها في العدوان الثلاثي عام 1956م، بدأت تتبلور فكرة الحدود الآمنة، والتي ترتكز على وجود عمق إقليمي وموانع طبيعية كما حدّدها

[28] محمد البحيري ، حروب مصر في الوثائق الإسرائيلية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2011م، ص53.
[29] عمي شامير، الموسوعة العسكرية الإسرائيلية - سلاح الهندسة، ترجمة دار الجليل، الطبعة الأولى، المجلد 3، 1989م، ص34-35.
[30] يغال الون وآخرون، تطور العقيدة العسكرية الإسرائيلية خلال 35 عاماً، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1983م، ص59.

يغال آلون وليفي أشكول[31]، أو الحدود التي يمكن الدفاع عنها كما اعتبرها أبا إيبان، أو الحدود الرادعة كما أكدتها غولدا مائير[32].

حاولوا في قيادة الجيش أن يسعوا إلى التعويض عن التفوّق الكمّي عبر إيجاد تفوّق كيفي. فقد عبّر يغال آلون عن ذلك بقوله :"إنّ الجيش القادر على كسب الحرب هو وحده الجيش الذي يردع؛ وإن الأمل في الردع لا يعتمد على القوّة العسكرية وحدها، ولكن على التأكيد من أن هذه القوّة ستُستخدم في الوقت المناسب وبطريقة حاسمة"[33].

فترة استلام حاييم لاسكوف، بين العام 1958 و1961، كرئيس الأركان الخامس للجيش، لم تشهد تهديدات واسعة؛ وكانت فترة تعاظم في بناء القوّة وبداية البرنامج النووي الإسرائيلي. والحادثة التي حصلت في عهده تعكس عمق الخوف وفقدان الأمن الاجتماعي الذي كان يعيشه الكيان في ذلك الوقت، بسبب ما عُرف في حينها بـ "ليلة البطّة"[34]؛ وقد استلم خلَفه "تسفي تسور"، وكان الجيش في كل تلك الفترة يقوم ببناء قدرته بما يتناسب مع الحرب القادمة وليس على أساس الحرب التي مرّت، فتمّ تطوير سلاح الجوّ وشراء طائرة "ميراج3" في العام1963م ، التي سيكون لها دور حاسم في حرب الأيام الستة[35].

الجيل الثاني من رؤساء الأركان: بين التوسع، الاستنزاف ، وتآكل نظرية الردع

إنّ أهم انجاز تحقّق من وراء كسب إسرائيل لحدود جديدة في مرحلة ما بعد حرب عام 1967 بالنسبة للأمن القومي الإسرائيلي، هو عزل البلاد وإبعادها عن خطر التقهقر الكارثي في حرب تقليدية شاملة. فلقد غيّرت حرب عام 1967 الوضع الإقليمي للصراع العربي- الإسرائيلي تغيّراً جذرياً[36] ؛ واستطاعت إسرائيل خلال الحرب من احتلال مساحات لا بأس بها من أراضي تلك الدول، إذ انتزعت سيناء وقطاع غزّة من مصر، والضفّة الغربية من الأردن، ومرتفعات الجولان من سوريا، بما يعادل أربعة أضعاف المساحة[37] التي كانت تحتلّها إسرائيل قبل حزيران 1967، الأمر

---

[31] العباد إبراهيم، مدخل إلى الاستراتيجية الإسرائيلية، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، 1971م، ص13 و26.

[32] الموسوعة الفلسطينية، المجلد الأول، ص598.

[33]Glubb, John Bagot. A Soldier with the Arabs, London, Hodde.r, P49.

[34] يديعوت أحرونوت , 2-4-1959 , 5155.

[35] زئيف شيف، الموسوعة العسكرية الإسرائيلية - سلاح الجو الإسرائيلي، ترجمة دار الجليل، الطبعة الأولى، المجلد 1، 1989م، ص82.

[36] David Rodman, The Israeli security theory, Middle East Review of International Affairs, December2001.p188-207

[37] عدنان السيد حسين، التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت ، لبنان، 1989م، ص43.

الذي وفّر لها جزءاً من العمق الاستراتيجي وثروات طبيعية ويد عاملة رخيصة ، حيث لم تعد مراكز التجمع السكاني فيها، والمرافق الصناعية والعسكرية، في مرمى الجيوش العربية أو القوّات غير النظامية.

من هنا بدأ التفكير في إقامة مستوطنات من أجل أن يكون لها دور أمني وعسكري في إدارة الصراع. فقد اعتبر (إسحاق) رابين، رئيس الأركان آنذاك، أنّ للمستوطنات دوراً استراتيجياً في تقوية الوضع الأمني، وتهدف إلى تجديد وتوسعة الحدود التي يمكن الدفاع عنها[38]؛ كما وطوّر من تكتيكات العمليات الانتقامية من خلال استخدام سلاح الجوّ في عمليات وغارات محدودة[39].

بدأ الجيش الاسرائيلي في هذه المرحلة العمل على المحافظة على إنجازات حرب حزيران 67، فانتقل بين حرب 67 وحرب تشرين73 إلى تعزيز الدفاعات، وأنشأ ما يسمّى "خط بارليف" ، على اسم رئيس الأركان الثامن الذي استلم قيادة الجيش بين العامين 1968و 1973، كتكريس لسياسة الانكفاء والانتظار لتسوية سياسية. أبرز التهديدات التي واجهت "بارليف" هي تهديد حرب الاستنزاف التي كانت حرباً جديدة من نوعها، واعتُبرت من أعنف وأقسى الحروب التي خاضتها تشكيلات الجيش[40].

مع استلام دافيد أليعازر رئاسة هيئة الأركان التاسعة في الجيش (1972- 1974م)، وجد نفسه معنياً بشكل كبير في مواجهة التهديد الجديد لمنظمة التحرير في لبنان ، بعد انتقالها من الأردن على أثر ما عرِف بـأيلول الأسود عام 1970، عبر البدء بنوع جديد من العمليات، كان أبرزها عملية تحرير المخطوفين من طائرة "سابينا" في شهر أيار 1972، وعملية "ربيع الشباب" ضد أهداف ل"فتح" في بيروت الغربية في نيسان من العام 1973. ولكن حصول حرب تشرين مع مصر دفعه إلى مكان آخر مغاير لما خطّط له.

كان لحرب تشرين 1973، والهزيمة العسكرية المدويّة التي تعرّض لها الكيان، أثر كبير في سقوط الأسطورة الصهيونية؛ لذلك تجد تلك الحرب حاضرة دائماً في أدبيات الجيش الإسرائيلي. فقد قالت

---

[38] صحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية، 07-01-1977.

[39] زئيف شيف، الموسوعة العسكرية الإسرائيلية- سلاح الجو الإسرائيلي، مرجع سابق، ص55.

[40] زئيف شيف، الموسوعة العسكرية الإسرائيلية سلاح الجو الإسرائيلي، المرجع السابق ، ص108.

صحيفة "عل همشمار"، في 9-10-1973 ، حول الأحداث المتسارعة في حرب تشرين: "إن السوريين والمصريين فاجؤونا وأمسكونا عندما كنّا نثق بقوّتنا أكثر مما ينبغي"[41]. كما واهتزّت نظرية الأمن الإسرائيلي القائمة على التفوّق العسكري والحرب الخاطفة[42]؛ وبذلك فشل رئيس الأركان التاسع دافيد أليعازر في تطبيق النظرية الأمنية ، وخاصة بعنوان الإنذار والردع؛ وبالتالي عدم إمكانية استثمار القوات النظامية المؤلّفة من 177 دبابة، والتي كانت في هضبة الجولان، في المهام الدفاعية المطلوبة[43].

بعد حرب تشرين بدأت النخب تنتقد النظرية الأمنية الإسرائيلية التي وضِعت منذ الخمسينيات ولم تتعرض للتطوير والتحسين؛ وهذا ما أشار له المؤرّخ والأستاذ الجامعي أفيعاد كلينبرج، الذي انتقد آليات اتخاذ القرار في الكيان، وأنّ حرب تشرين لم تُبدّل من النظرية الأمنية بشكل جوهري، بحيث لم يتم بناء جيش كبير وقوي ينقل الحرب بسرعة إلى أرض العدو[44].

رؤساء أركان السبعينات ... تهديدات غير نظامية

بعد ثلاث سنوات من انتهاء حرب تشرين ، وقّعت مصر والكيان الإسرائيلي اتفاقية سلام، فتحوّلت أنظار رئيس الأركان العاشر موردخاي غور(1974-1978م) شمالاً . ففي فترة المفاوضات مع مصر، تنامت قدرات منظمة التحرير الفلسطينية التي أنشأت بُنية تحتية في الجنوب اللبناني، عرفت بـ"فتح لاند"؛ وتحوّل لبنان إلى منصّة انطلاق لعمل منظمة التحرير في أنحاء العالم، فيما تحوّلت المنظمة إلى شبه جيش نظامي وكيان شبيه بالدولة ولديها بنى تحتية. ولذلك وجد الجيش الإسرائيلي أن منظمة التحرير لن ترحل عن لبنان ما لم يشعر قادتها بخطر وجودهم في بيروت وتغيير النظام هناك[45]؛ وحصلت عدّة عمليات في سافوي وكريات شمونة وبيت شان، جعلت نظرية الردع تحت الاختبار مجدّداً، فانتقل الجيش إلى تطبيق النظرية عبر عملية عسكرية جنوب الليطاني "عملية الليطاني" ، في شهر آذار من العام الأخير في خدمة موردخاي غور عام 1978، لإزالة "فتح لاند" وإبعاد التهديد الفلسطيني عن شمال الكيان.

دخل رئيس الأركان الحادي عشر رفئيل إيتان (1978 – 1983م) وقد آمن من خلال تجربته بمقاربة هجومية لخوض معركة "حسم" وحرب المبادرة والخيار مع منظمة التحرير، تحت اسم "سلامة

---

[41] مجلة الموقف، العدد 47، 1987، ص20.

[42] عدنان السيد حسين، التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية،مرجع سابق، ص 78.

[43] محمد البحيري ، حروب مصر في الوثائق الإسرائيلية، مرجع سابق، ص226- 229.

[44] المرجع السابق، ص239.

[45] دافيد شانوف، مذكّرات أرييل شارون، الطبعة الأولى، ترجمة أنطوان عبيد، مكتبة بيسان، بيروت، لبنان، 1992م، ص453 و643.

الجليل"، واعتبار إيتان أن هذه الحرب هي حرب دفاعية كباقي الحروب السابقة، ولكنها بتكتيك هجومي هدفه القضاء على الوجود الفلسطيني، الذي أدّى من عام 1965 حتى العام 1982 إلى مقتل 1392 شخص وإصابة 6246 آخرين[46].

من الأعمال التي طبّق فيها إيتان فكرة الذراع الطويلة للجيش وفكرة الإحباط والحسم قبل تنامي التهديد وتجذّره، هي عملية "أوبرا" التي أعطى فيها الأوامر لتدمير المفاعل النووي العراقي؛ في ذلك الوقت كان التهديد الإيراني بقيادة (الإمام) الخميني لا يزال يُتابع عن بعد دون دخوله مرحلة التهديد الفعلي.

في العام 1983م استلم رئاسة الأركان الجنرال موشيه ليفي ، أوّل رئيس شرقي من المهاجرين العراقيين، فكانت في عهده عملية انسحاب تجاه الأوّلي وإيجاد منطقة أمنية في الجنوب اللبناني؛ ولم تجر في فترة ولايته أيّ تغييرات مهمّة على صعيد بناء الجيش وتحسين وتطوير النظرية الأمنية، على الرغم أنّه كرّس نظرية اليد الطويلة في عملية "الساق الخشبية" في استهداف منظمة التحرير على بعد 2300 كلم في تونس، في تشرين الأول من العام 1985م[47]، ممّا عزّز الردع ونظرية جبابة الثمن ولو في مناطق بعيدة.

"جيش صغير ومتطور" هو من المصطلحات التي أدخلها رئيس الأركان الثالث عشر دان شمرون في الجيش، كتعبير عن قدرات الجيش في عمليات الفتك والفعالية القتالية. واجه الجيش في فترة ولايته بين الأعوام 1987 والعام 1991 واقعاً وتهديداً جديداً من نوعه، وهو الانتفاضة الأولى، فتحوّلت نظريته من جيش ذكي يقاتل ويخطّط للقتال كأكثر الجيوش حداثة في العالم، ومقابل جبهات وجيوش عربية، إلى جيش يحمل الهراوات والعصي والحجارة لقمع المتظاهرين بأكثر الطرق بدائية ووحشية. وهنا بدأت تتبلور فكرة القتال مقابل منظمات تتبنّى حرب العصابات، والتي أصبحت لاحقاً مع حزب الله مدرسة خاصة.

"نحاش تسيفع" ... حرب الاستنزاف الثانية، الانسحاب من لبنان وتعديل النظرية

مع نهاية ولاية "دان شومرون"، دخلت تهديدات جديدة إلى خارطة التهديدات السابقة. فقد تعرّضت "إسرائيل" للمرّة الأولى لصواريخ بالستية نوع "سكود" من العراق، أطلِقت خلالها

---

[46] المرجع السابق ، ص 657.

[47] أفيغدور شاهان، مقال إعادة النظر في الدائرة الثالثة، الموقع الإلكتروني العبري لمركز دادو، https://2u.pw/4zM7P (20-06-2022 retrieved on).

صافرات الإنذار "نحاش تسيفع" في كانون الثاني من العام 1991م، وسقطت في مناطق حسّاسة في عمق الكيان[48]؛ لم يحصل ردّ على الرمايات العراقية، ولكن حصلت تعديلات جوهرية على النظرية الأمنية، بزيادة عنوان جديد عليها، وهو "الحماية"، والتي ستتكرّس لاحقاً في كل مراحل المواجهة مع حزب الله في لبنان، في مرحلة التسعينيات وصولاً لوقتنا الحالي.

على إثر تنامي الضغوط بعد العام 1992 ، وتحديداً بعد استشهاد السيد عباس الموسوي، كان للمقاومة في لبنان تعديلات بنيوية في تكتيكات وزخم عملياتها القتالية؛ فقد شهدت تطوراً تقنياً مهماً من ناحية زرع العبوات والاشتباكات المباشرة، وتطوّر العمليات المركّبة بين عبوات وكمائن، إلى جانب استخدام صواريخ مضادة للدبابات جديدة من نوع "ساغر"[49]؛ وقد اعترف إسحاق رابين في ذلك الوقت بعمق الأزمة الأمنية التي واجهت الكيان في تلك المرحلة ، حيث كشف أنّ حزب الله شنّ 882 هجوماً في الشريط الحدودي منذ أول سنة 1993، وأنّ 99 جندياً قتِلوا في هذه المنطقة منذ أن انسحبت إسرائيل إليها عام 1985م[50].

أمام هذا المشهد الذي أحدث تصدعاً عميقاً في نظرية الحسم والردع، كان على إيهودا باراك، رئيس الأركان الرابع عشر (1991-1995م)، أن يبلور خططاً نارية لاستعادة زمام المبادرة؛ فنفّذ الخطّة الأولى منها في العام 1993 تحت اسم "تصفية الحساب" ضمن ثلاث مراحل: الأولى قصف المواقع القريبة من القرى، والثانية قصف المواقع على أطراف القرى، والثالثة ملاحقة المجموعات والأفراد داخل القرى، من خلال أسلحة جوية وبرية، مع استهداف موانئ صور وصيدا وتنفيذ حصار بحري، والعمل على دفع السكّان والمدنيين شمالاً للضغط على الدولة ونشر اليأس والإحباط والفوضى بين مؤيدي المقاومة[51]. كان جزء من أهداف الدخول بعمليات عسكرية محدودة مع لبنان تحريك العجلة السياسية والمفاوضات، التي كانت قد بدأت مع الأردن ومنظمة التحرير.

على إثر تفاهم تموز 1993 انتقلت المقاومة للقتال بأريحية عالية؛ فهي حمت المدنيين من أي ردود فعل على عملياتها العسكرية في الشريط الأمني، وحقّقت بذلك توازن رعب وردع. لذلك دعا رفائيل إيتان إلى استقالة باراك ، واعتبر أنّ الاتفاق هو إذنٌ لحزب الله بقتل الجنود الإسرائيليين[52]؛ فوجد باراك نفسه في حرب استنزاف جديدة ويواجه خصماً سريع التعلم والتأقلم والتطور[53]، وأمام تحديات

---

[48] مقالة عبرية، 30 سنة على حرب الخليج، Ynet الموقع الإلكتروني لصحيفة يديعوت أحرونوت ، @ . https://2u.pw/6e5Al

[49] إيغال أفيدان، صحيفة دافار، 16-07-1993.

[50] صحيفة النهار، 25-08-1993.

[51] Le Monde, 27-07-1993.

[52] افتتاحية هآرتس، 22-08-1993.

[53] صحيفة معاريف، 20-08-1993.

جوهرية للنظرية الأمنية. فالردع أصبح مقيّداً ، والحسم يعاني من محدوديات الجغرافيا والانتشار والتكتيك المستخدم من المقاومة، والإنذار تعرّض للتشويش في تشخيص طبيعة المخاطر والتهديدات المتنامية.

رئيس الأركان الخامس عشر أمنون شاحاك (1995-1998)، تميّز عمّن سبقه أنّه بدأ بصياغة نظريات قتالية جديدة، فأسّس وحدة إيغوز لتقاتل حزب الله على طريقة حرب العصابات؛ وبالتزامن، أكمل الخطط النارية التي اعتمدها باراك قبله، ودخل بعملية عسكرية لإعادة رسم قواعد الاشتباك مع المقاومة في لبنان، فنفّذ عملية "عناقيد الغضب" في العام 1996، والتي شغّل خلالها قوات خاصة في العمق اللبناني لضرب المنصّات الصاروخية ونقل المعركة إلى نقاط ودشم المقاومة[54]؛ هذه العملية التي استمرت حوالي 17 يوماً انتهت باتفاقات وتفاهمات، على غرار سابقتها في العام 1993؛ ولكن نظرية أمنون شاحاك لم تدم طويلاً بسبب حادثتين كارثيتين حصلتا في جنوب لبنان في العام 1997؛ الأولى اصطدام المروحيتين العسكريتين الإسرائيليتين، ومقتل 73 جندياً وضابطاً كانا داخلهما؛ والثانية مقتل 12 جندياً من وحدة الشييطت 13 في كمين أنصارية الشهير.

في العام 1998م، استلم شاؤول موفاز رئاسة الأركان العامة السادسة عشر للجيش. وأبرز ما قام به في فترة ولايته هو الانسحاب من جنوب لبنان في أيار 2000، والانتفاضة الثانية في 28 أيلول 2000، والتي امتدّت إلى عمليات نوعية في العمق المحتل، وعملية "السور الواقي" في الضفة الغربية في آذار 2002م.

ويمكن اعتبار الانتفاضة الثانية وعملية "السور الواقي" من انعكاسات أو ارتدادات الانسحاب من الجنوب اللبناني، والتي عبّر عنها الكاتب أوري مسغاف، واقترح تسمية فترة التواجد في لبنان أنّها حرب الاستنزاف[55].

الجيش دون هدف ... أيام قتالية أم حرب شاملة؟

دخل موشيه يعلون العام 2002م من الباب الواسع لجهة فكرته حول تحويل التهديدات إلى حروب أوعمليات ضد عصابات ومنظّمات شبه دولة، وفضّل استخدام نمط "الإحباط المركّز" ،القائم على تصفية شخصيات مؤثّرة ومحورية في المقاومة؛ فأعطى الضوء الأخضر لتنفيذ عمليات اغتيال لأحمد ياسين وصلاح شحادة (قادة من حركة حماس في غزة).

[54] غال بيرل فينيكل، حزب الله بقي عدواً محنّكاً ومريراً كما كان، موقع زمان .www.zman.co.il، بتاريخ 28-04-2020.
[55] أوري مسغاف، هآرتس، نقد لكتاب "أمّي خرجت من لبنان" لرئيس حركة الأمّهات الأربعة، بتاريخ 16-11-2021.

لكن يعلون ترك رئاسة الأركان قبل أن تتلطّخ يداه بتنفيذ أكبر عمليات انسحاب وإخلاء للمستعمرات قادها الجيش ضمن عملية "فك الارتباط" مع قطاع غزّة، والتي قام بتنفيذها رئيس الأركان الثامن عشر دان حالوتس مع بداية ولايته، والذي هو نفسه سيدخل في العام التالي في حرب لبنان الثانية في تموز 2006م، ويخرج منها مع نظرية أمنية مهشّمة ونظريات قتالية وجدت نفسها في بيئة تهديدات جديدة ومفاجئة لم يتحضّر لها الجيش كما يجب.

دخل الجيش الإسرائيلي في حرب لبنان الثانية على أساس خطط نارية نوعية وأيام قتالية، ولكنّه وجد نفسه في سياق حرب بريّة لم يرغب بها؛ وهذا ما عبّر عنه حالوتس لاحقاً بقوله إنه حاول ربط أرجل أودي آدم، قائد المنطقة الشمالية، لعدم السماح بتمدّد العملية البريّة[56]؛ وقد قيل الكثير حينها عن فشل الإسرائيلي في مدى إدراكه لمفهوم الحرب، وأنّ عليه إعادة بلورة مفاهيم تفعيل القوّة وبنائها واستراتيجيته في مواجهة التحديات[57].

حرب تموز التي أطاحت بأعلى ثلاثة مستويات قيادية في الكيان، كانت لها ارتدادات لا تزال أصداؤها تتفاعل حتى وقتنا الحالي. وقد كشفت لجنة الخارجية والأمن في تقرير لها حول الحرب، أنّ المواجهة التي حصلت بدأت كعملية عسكرية وليس كحرب، وأنّه كان من المفترض استيعاب مفهوم أمني جديد بشأن التهديد الذي حصل تجاه الجبهة المدنية[58].

وبعد وجوده لفترة 19 شهراً فقط في منصبه، أعلن دان حالوتس عن استقالته في ظلّ حرب دون انتصار، وعيوب خطيرة في عمليات اتخاذ القرارات وغياب التخطيط الاستراتيجي لمواجهة التطورات والتحديات الناشئة. وعُيّن بدلاً عنه غابي أشكنازي (2007-2011) كأوّل رئيس أركان من لواء غولاني، الذي خبِر وألِف لبنان في الريحان والشقيف؛ وهو جاء ليعزّز من معنويات القوّات البريّة في الدرجة الأولى أكثر من أي أهداف أخرى، وعمل على إعادة تكييف الجيش وجعله ذي صلة بنوع التهديدات، والساحة التي من المفترض مواجهتها.

بدأ أشكينازي مسيرته بتنفيذ عمليات الإحباط المركّزة، فتمّ استهداف المفاعل النووي السوري، والتي ستكون له إلى جانب حرب تموز تداعيات كبيرة ، ستنعكس توثيقاً أكثر للعلاقة بين الأسد ومحور المقاومة[59]؛ وأيضاً، هو لجأ إلى خيار نظرية جزّ العشب وتقليص التعاظم المتسارع لقدرات المقاومة في قطاع غزّة ، والذي بدأ يتبلور بعد عملية فك الارتباط، فكان الخيار عملية عسكرية تحت عنوان

---

[56] عنيان مركزي، نقلاً عن كتاب مذكّرات دان حالوتس في حرب لبنان الثانية " بنظرة مباشرة"، بتاريخ 04-02-2010.

[57] العميد المتقاعد دوف تمري، يديعوت أحرونوت ، لماذا فشل الجيش الإسرائيلي في الحروب الأخيرة؟، 28-02-2010.

[58] لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، تقرير لجنة دراسة استعدادات الجبهة الداخلية في حالات الطوارئ، 2006، ص 11.

[59] عاموس هرئيل، هآرتس، السلاح خارق التوازن الذي نقلته سوريا إلى حزب الله: سكاد، بتاريخ 14-04-2010.

"الرصاص المسكوب"، وكأنّها ميدان اختبار ورفع الحالة المعنوية للجيش بعد حرب لبنان الثانية.
بدأ الجيش بلورة الخطط العسكرية مقابل التهديد النووي الإيراني الحديث العهد، في أواخر أيام أشكينازي ؛ ولكن التهديد الداهم كان تنامي القدرات الفلسطينية لحركتي حماس والجهاد في قطاع غزة خلافاً للتقديرات المتوقّعة. وقد سجّل في عهده تشكيل أول بطارية نظامية للقبّة الحديدية في شهر أيار من العام 2010، كمؤشّر على الانتقال إلى الدفاع، ممّا زاد من مستوى الحماية للجبهة الداخلية مقابل تهديد الصواريخ المتنامي؛ واعتُبرت الخطوة استيقاظاً متأخّراً لإسرائيل على استراتيجية قتال جديدة[60].

مع بداية العقد الثاني للقرن الحادي والعشرين، استلم بيني غانتس رئاسة الأركان العشرين للجيش الإسرائيلي (2011-2015)، مع تحديات متراكمة ومركّبة ومعقّدة. وقد حاول خلالها تنفيذ عملية عسكرية ببصمة خفيفة، وذات أثر عسكري ميداني، تجاه قطاع غزة، والتي افتُتحت باغتيال أحمد الجعبري (قائد حماس العسكري) ؛ وأُطلق على العملية اسم "عامود السحاب". انتهت الحرب دون نصر واضح وغياب الحسم.
مع بداية العام الأخير من ولايته، وبعد عملية اختطاف لثلاثة صهاينة في الخليل، وكردّ فعل على عملية "عودوا أيها الأخوة"، تصاعدت وتيرة الاحتكاك بين حماس والإسرائيلي، فلجأ الأخير إلى عملية عسكرية جديدة "الجرف الصلب" على إثر زيادة التهديد على الجبهة الداخلية، ولكن هذه المرّة مع تعزيز أكثر لعنوان الحماية في النظرية الأمنية من خلال القبّة الحديدية، مع عملية برّية لتقويض الأنفاق الهجومية لحماس.
لكن، ومع تطوّر التهديدات الهجومية لمحور المقاومة في المجال الصاروخي والبري، تحوّل معيار الدفاع إلى مرتكز أساسي في النظرية الأمنية ؛ وهذا ما عبّر عنه حرفياً قائد سلاح الجو اللواء عيدو نحوشتان في مؤتمر لخطة العام 2011:" معيار الدفاع يعكس نظرية استراتيجية لتعزيز الدفاع كمفهوم عملاني حديث التطبيق، كما أنّه ينعكس على النظرية الأمنية"[61].

الجيش كلّه إلى الدفاع در... بين الذئاب المنفردة وإيران النووية

بعد عدّة أشهر من انتهاء عملية "الجرف الصلب"، ومع بداية العام 2015، انتهت رئاسة بيني غانتس وعيّن غادي آيزنكوت (2015-2018)، الممثّل الثاني للواء غولاني، في المنصب؛ وهو بدأ

[60] عاموس هرئيل، هآرتس، بتاريخ 11-01-2010م.
[61] جيش الدفاع الإسرائيلي، تحدي السلاح المنحني وتشكيل الدفاع الفعّال لدى دولة إسرائيل، 2011م، ص26.

ولايته الجديدة بمواجهة تهديد جديد من نوعه، لا يملك بصمة استخبارية ولا هويّة ولا مؤشرات. إنّها العمليات الفردية وأعمال الطعن، التي تجاوزت الإنذار المبكر في النظرية الأمنية.

آيزنكوت سعى لإعادة بلورة النظرية الأمنية، من خلال تقديم وثيقة مكتوبة عرِفت بـ "استراتيجية الجيش الإسرائيلي" ، في محاولة منه لتقديم إجابات على أسئلة بشأن مصطلحات، مثل الحسم والانتصار والحرب اللاتناظرية؛ لكن اصطدمت تلك النظرية الأمنية بتهديدات داخلية وخارجية، وساحات متعدّدة تبدأ بعرب 48 وتكاد لا تنتهي مع إيران.

وأخيراً ، عزّز الرئيس الثاني والعشرون لأركان جيش الاحتلال، أفيف كوخافي (2019-2023)، من أنشطة المعركة بين الحروب، التي اعتبرها كخيار بديل عن حرب عسكرية مفتوحة مع المقاومة، وخيار ما دون شبح الحرب التي لا إمكانية لخوض غمارها[62].

خلال المراحل الماضية سيطر التكتيك الهجومي على الوعي العسكري لدى عدّة أجيال ، وأهمِل الدفاع. ولكن في عهد كوخافي ، بُدء العمل على إعادة التوازن في التفكير بين الدفاع والهجوم، الدفاع عن الأجواء والدفاع عن الأرض، ولا سيّما في ظل تنامي قدرات المقاومة الهجومية مع تجربة متراكمة من الساحة السورية مقابل المسلّحين، وتجارب هجومية ذات أثر في حروب غزة[63].

وتبرز هنا عملية "حارس الأسوار"، وما جرى فيها من تحوّل المقاومات إلى مقاومة واحدة متجانسة، وبتنسيق عالٍ جدّاً لأوّل مرّة بهذا المستوى في تاريخ الصراع. وقد اعتبر اللواء الاحتياط غرشون هكوهين أنّ التوقّع بإخضاع "حماس" كان مبالغاً فيه، وأنّ وقف إطلاق النار كان مبكراً جدّاً، وأنّ الكلام عن الحسم هو غير دقيق ومهني[64].

من أخطر التحديات التي كانت على رأس الاهتمامات لدى الكيان، تحدي القدرات الإيرانية المتزايدة، إلى جانب الجرأة، وهي في العادة لوازم الشعور بالخطر، حيث تجتمع القدرة مع الجرأة. وحسب التقدير الاستراتيجي الإسرائيلي، فإنّ إيران تقدّمت خطوة إضافية في المواجهة مع الولايات المتحدة وشركائها في المنطقة، من خلال الهجوم على مرافق النفط السعودية ومهاجمة الطائرات غير المأهولة الأميركية فوق جنوب إيران؛ وبعدها وجّهت إيران ضربات للقواعد الأميركية في العراق، إضافة إلى اقتحام السفارة الأميركية في بغداد، ومشروع الصواريخ الدقيقة لحزب الله؛ وكلّ

---

[62] إحسان مرتضى، المعركة بين الحروب: تكتيك العجز الإسرائيلي، مجلة الجيش اللبناني، العدد 405، آذار 2019، @ https://2u.pw/zZ7dz.

[63] دوف تمري، مجلة معرخوت، العدد 437، حزيران 2011م، مقالة القوّة الجويّة ألى أين؟ بتاريخ 01-06-2011 ص 4-13.

[64] غرشون هكوهين، القناة السابعة، www.inn.co.il بتاريخ 24-05-2021.

ذلك جعل إسرائيل أمام تحدّيات وجودية صعّبت عليها العمل وحدها في المواجهة القادمة[65]، وجعلتها في حالة انكفاء في حدّها الأقصى منذ نشأتها.

وقد ختم كوخافي مسيرته بنبرة مرتفعة من التهديدات للبنان، اعتبر الباحث أرئيل لفيته أنّها تعكس عدم فهمه لجوهر وطبيعة المواجهة القادمة؛ فهو لم يتعلّم من عِبر الحرب الأوكرانية، واعتبر أنّ الجيش يمكنه أن يصل إلى إنجازات عملياتية. ولكن كلام وتهديد كوخافي هو وصف لهزيمة استراتيجية قادمة[66].

الخلاصة

- يعتمد مفهوم تشغيل القوّة بشكل أساسي على تحذير مسبق. وفي حال فشل التحذير المسبق، فإنّ تشغيل القوّة سيكون بحدّه الأدنى.
- حرب سيناء 1956 وحرب حزيران 1967 طبّقتا بنجاح عسكري نظرية الحرب الاستباقية ونقل الحرب لأراضي العدو؛ ولكن مفعول الردع لم يدم طويلاً، بل تعرّض للتآكل والضرر.
- تحضيرات الجيش على مستوى بناء القوّة وتشغيلها كانت متلائمة ومتناسبة مع التهديدات المتنامية منذ الخمسينيات حتى الثمانينيات من القرن الماضي؛ ولكن في فترة التسعينيات حصل توازن وتقلّصت الفجوة بين الطرفين لصالح المقاومة، فكان لجيش العدو خطط تعالج الحاضر ولا تنظر للمستقبل؛ وهذا خلاف نظرية الإنذار .
- مع العقد الأول من القرن الحالي، بدأ ميزان القدرات في نظرية القتال لدى محور المقاومة يتزايد بوتيرة أسرع وأعلى من عملية البناء التي أجراها الجيش الإسرائيلي مقابل التهديدات والمخاطر المحتملة؛ وهذا ما أكّدته عدة حروب شنّتها إسرائيل، في تموز 2006 (ضدّ لبنان) وحروب غزة خلال الأعوام 2008 و2012 و2014؛ وتجلّت بشكل أوضح في معركة سيف القدس 2021.
- في العقد الثاني من القرن الحالي ، وجدت المنظومة الأمنية الإسرائيلية نفسها مقيّدة بأبعاد وساحات جديدة من المخاطر والتهديدات، انتقلت خلالها إلى نمط المعركة بين الحروب كبديل عن العمليات الواسعة. وقد واجهت تهديدات مختلفة، بدءاً من السكّين و "الذئاب المنفردة"، إلى منظمات اعتمدت حرب العصابات، وصولاً إلى دولة إقليمية كبرى تمثّلت

[65] إيتي بارون وإيتاي شابيرا، التقدير الاستراتيجي لإسرائيل 2019-2020، معهد دراسات الأمن القومي، 2020م، ص3.
[66] أرئيل لفيته، الإرث الخطير لكوخافي، هآرتس، بتاريخ 19-06-2022.

بإيران.

- النظرية الأمنية المحدّثة ل" بن غوريون" أصبحت خماسية وليست ثلاثية؛ فقد زيد عليها الحماية والدفاع. وبالتالي انتقلت المنظومة الأمنية إلى موقف دفاعي أمام التهديدات المتنامية؛ وهذا يعني الانتقال إلى مرحلة خطيرة قد تُضعف من قدرة الكيان المحتل على الصمود في الحروب القادمة مع محور المقاومة.